الجمعة : 26/12/2008 الشيخ الطيب محمد خير

الشعال

سلسلة أسرتي

4- ((يا أمي – ابنٌ يخاطب أمه))

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، الحمد لله ثم الحمد لله ،الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشد هـ ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، خير نبي اجتباه ، وهدى ورحمةً للعالمين أرسله ، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، ولو كره المشركون ، ولو كره من كره ، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأحثكم وإياي على طاعته.

فإن بضاعة الآخرة الحسنات والسيئات ونحن عما قريب ذاهبون من هذه الدار إلى دارٍ من اتقى الله هنا سعد هناك ومن عصى الله هنا حوسب هناك فقدموا لأنفسكم...

ثم أستفتح بالذي هو خير:

قال تعالى:

﴿....رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[الأحقاف:15]

وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:6]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيع؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته)) [النسائي وابن حبان]

هذه هي الخطبة الثامنة من سلسلة أسرتي فقد تحدثا لماذا هذه السلسلة وخطبتين ((يا بني)) وخطبتين ((يا ابنتي))، وخطبتين ((يا أبتِ)) وعنوان خطبة اليوم :

((يا أمي- ابن يخاطب أمه))

الأم في اللغة : الأصل ، يقال الأرض أُمُّنا لأننا خُلِقْنا من تراب الأرض وعيشنا على هذه الأرض ونُدْفنُ إذا متنا فيها ، ومنها تُبْعثُ تارةً أخرى ويقال للدماغ أمُّ الرأس، لأن أصل ما في الرأس وأغلى ما في الرأس الدماغ.

ويقال لمكة أمُّ القرى لأنها أصل القرى وإليها تجتمع وتهوي أفئدة العباد ، ويقال لسورة الفاتحة أمُّ الكتاب لأنها اشتملت على أصول ما جاء به القرآن الكريم في التوحيد والثناء على الله ، والاستسلام لحضرته، والإيمان باليوم الأخر ، والوعد والوعيد.

ويقال للوالدة أمّ لأنها أصل وجودك حساً ومعنى

فأقول في هذه الخطبة مخاطباً كلَّ أمٍّ بلسان ولدها:

۞ **أمي** ... التي أرجو دعاها

وأرى الجنة حينما أراها..... والمنى كلُّ المنى أن أبلغ رضاها

۞ **أمي**...

لك علي المنَّة بأمورٍ وأمور، أذكر في هذه الخطبة ثلاثةً لأدع أختي تذكرُ ثلاثةً أخرى في خطبة الأسبوع القادم – إن شاء الله –

أولها : لك عليَّ المِنَّة بأن أرضعتني من صدرك لبناً خالصاً سائغاً

أتدرين يا أمي أن واحداً من تقارير هيئة الصحة العالمية هاجم بشدةٍ الأغذية المصنعَّة للأطفال واتَّهم الشركات التي تبيع كلَّ عام ما قيمته (2مليار دولار) من أغذية الأطفال بأنها تساهم في قتل الأطفال في البلاد المختلفة .

- وتشير الإحصاءات المجراة عام (1980) إلى موت (10ملايين) طفل نتيجة عدم إرضاعهم من أمهاتهم.

- وإحصاءً أخر جرى في (بوسطن بأمريكا) بيّن أن البالغين سن الثلاثين الذين غذّتهم أمهاتهم بلبانها خلال الشهرين الأولين من الولادة فقط أقلُّ عرضةً للإصابة بارتفاع الكولسترول ممَّن لم يرضعوا من أمهاتهم البتة.

فأي حظٍ لي فيكِ وقد أرضعتني أشهراً عديدة وأياماً مديدة ممتثلةً أمر الله تعالى

﴿ **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ..**﴾ [البقرة:233]

وسامعةً كلام الله تعالى ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ ..**﴾ [القصص:7]

أيها الإخوة والأخوات:

حليب الأم يتغير ويتطور بمرور الأيام بما يلائم حاجة الرضيع الغذائية وتحُّلِ جسمه، ففي الأسابيع الأولى من الولادة مثلاً يكون الحليب غنياً بالبروتين والعناصر المعدنية ولكنه فقير بالدسم والسكريات التي تزداد فيه فيما بعد ، وتزداد نسبة الماء بالصيف وتقل في الشتاء ، كما أن الثدي يفرز في الأيام الثلاثةِ الأولى مادة اللبأ الحاوية على كميات كبيرة من

البروتينات المهضومة ومضادات الجراثيم التي تقي الجسم الجديد من العوامل الممرضة الخارجية الكثيرة.

وحليب الأم سهلُ الهضم ، معقمٌ ليس فيه جراثيم بل فيه صادات مضادة للجراثيم، سريع التحضير، حرارته مناسبة، من أجل هذا قررت الحكومة الفرنسية تقديم مكافأة شهرية كبيرة لكل أم ترضع طفلها، وتستمر المكافأة ما دامت ترضعه.

وفي بريطانيا أُجري مسح لمدة زادت عن عشر سنوات تبيّن من خلاله أن هناك علاقةً أكيدة بين معدلاتِ الذكاء المنخفضة والتغذية الصناعية.

أتعلمين يا أمي ، أن بعض أمهاتِ اليوم يتأنفن ويتأففن من رِضاع صغارهن من صدورهن حتى لا تتغير أشكالُهن ولا يلتزمن كثيراً بأولادهن وبناتِهن فَتَرَيْنَهُنَ يسارعن إلى إعطائهم الحليب الصناعي أمَّا أنتِ فما بخلتِ ولا شححت ، فللهِ عليَّ المنة وهذا أول الأمور الثلاثة في هذه الخطبة.

ثانيها : لك عليَّ المِنَّة بأن سقيتني من لبنك لبن العلم والقرآن والتقوى

فعلى يديك حفظتُ سورة الفاتحة ونطقت بكلمات سورة الإخلاص مع أول كلامي، ومن فمك الطاهر حفظتُ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وقِصصَ الأمانةِ والصدق والصلاح، كنت ترونيها لي قبل نومي وفي أوقات فراغ يومي.

رأيتُك تصلين فصليتُ و رأيتك تصومين فصمتُ ، كنت مدرسةً قبل المدرسة ، وكنتِ مسجداً قبل المسجد.

أذكرُ يوماً عندما عدتُ من المدرسة الابتدائية في صفوفي الأولى ، ووجدتِ في حقيبتي وبين دفاتري ممحاةً زائدةً لم تكن لي ، وسألتني لمن هذه ؟ فأخبرتُك أني وجدتُها على مقعدي فوضعتُها في الحقيبة ، فأعطيتني درساً عن الأمانة لا أنساه وعن حفظ حاجات الآخرين ورويتِ لي قصةً في أداء الأمانات وآيةً من القرآن وحديثاً شريفاً ، وطلبت إليّ أن أسال أصدقائي غداً عن صاحب الممحاة لأردها إليه.

وفعلت في اليوم الثاني ما قلتِ ، فلما عدتُ من المدرسة وسألتِني هل فعلت ؟ قلت نعم ، كافأتني وضممتني إلى صدرك الحنون العاقل.

من ذلك اليوم نشأت على الأمانة وحفظ حقوق الآخرين . و لك المنة يا أصل كل خير.

۞ يا أمي :

لما كَبُرت قرأتُ قصةً شعرية عن أمٍ سقت ابنها لبناً ، لكنها ما سقته تربيةً إيمانيةً بل تركته للطرقات تعلمه وللخادمات تهذبه وللفضائيات تدربه ، ولعلها دعته من حيث تدري ومن حيث لا تدري إلى الجرائم والآثام .

تقول القصة :

حكمتْ عليــه حكومــة الإســلام قطع التي سرقت على الأيام

واستنفر الجلادُ يحمل سوطه فاستصرخَ المحكوم بالحكام

قال: اسمعوني، مهلكم، وتبصروا وتتبعوا مستودع الآثام

فلسان أمي أصلَ مصيبتي وله يعودُ الفضلُ في إجرامي

قد كنتُ طفلاً فاستهنت ببيضةٍ وسرقتها مستخفياً بظلام

وأتيتُ أمي مستشيراً عقلها هل كان يرضي عقلها إقدامي؟

فمضت تزغرد، ثم قال لسانها: مرحى حبيبي صرت كالضرغام

ومضى علي الدهرُ أحفظ قولها وغدا بظلم الآمنين غرامي

فعليكم بلسان أمي إنه أصل الجريمة يا أولي الأفهام

۞ يا أمي :

مننت عليّ بتأديبي على الصلاح والتقوى والقرآن والسنة، وهذي ثاني الأمور الثلاثة في هذه الخطبة .

ثالثها : لك عليَّ المِنَّة بأن غمرتيني حباً وحناناً وأنفقت علي الكثير من وقتك

ولعلك يا أمي ضحيت بكثيرٍ من أمالك ورغباتِك حتى صرت إلى ما صرت غليه من الخير.

۞ أم محمد أمٌ دمشقية مات زوجها وخلفَّ لها ثلاثة أولاد ، حبست نفسها على أولادها رعايةً وعنايةً وتأديباً ستاً وعشرين سنة ، أولادها الآن تخرجوا من الجامعات في فروعٍ

راقية والفضل في كل ما هم فيه اليوم من خيرٍ بعد فضل الله يعود على أمهم التي غمرتهم حباً وحناناً ورعايةً وتربيةً ، وضحَّت بكثير من رغائبها لأجلهم.

۞ أم عبد الله كان زوجها قاسياً عليها شديداً على زوجه وأولاده ، مراراً ما حثتها نفسها وحدثها من حولها بطلب الطلاق منه لكنها لم تفعل حفاظاً على أولادها وخوفاً عليهم وتقرباً إلى الله تعالى برعايتهم ، صبرت ثلاثين سنةً على حياةٍ صعبةٍ وزوجٍ غير متعاون ، أبدلها الله بصبرها خيراً ، وببذلها عطاءً ، نجح أولادها في أعمالهم ورقوا سُلَّم الخير والفلاح ، وحملوها على رموش عيونهم وبذلوا لها ماء مهجهم ، وما ينتظرها عند ربك – إن شاء الله– خيرٌ وأبقى.

۞ يا أمي :

عجيب حال بعض زوجاتِ اليوم ، لا يردن تضحيةً لأجل أولادهن البتة ، ولا يصبرن على ضيق ذات يدٍ ولا على مرض زوجٍ أو ولد ، ثم هُن يُرِدْن عزاً في الدنيا وفلاحاً في الآخرة .

ترجوا النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليَبَسِ

أُجْرِيَتْ دراسة إحصائية للموازنة بين مجموعة أطفال يعيشون في حاضنات خاصة نظامية نموذجية وبين مجموعة أطفال يعيشون مع أمهاتهم وآبائهم .

كانت النتيجة أن الأطفال بعد الشهر السادس بدور الحضانة يضعفون ويقل تجاوبهم العقلي والانفعال العاطفي الذي لم يظهر مع الأطفال الذين يعيشون مع أمهاتهم .

وفي دراسات عديدة على أناساً ارتكبوا جرائم وأذى للمجتمع ، ظهر أن عدداً كبيراً منهم نشأ في صغره بعيداً عن أمه وأبيه ، أو مع أمٍ لا تهتم بتربية ولا حنانٍ ولا تعليم.

۞ يا أمي :

قديماً قالوا ((وراء كل عظيم امرأة))

فإن كنت برعت في شيءٍ فأنت التي كنتِ ورائي

بل أنتِ أمامي و إمامي

يـــا أمـــي أنـــت ســـقيتيني لبن التوحيد مع الفطرة
وغرستِ حنانك في قلبي من أول رشفي للقطرة
ونفحت أريجك إيماناً كالورد إذا أهدى عطراً
من مثلك يا أمي فضلاً أقدامك تاج للغرة
في حُبك أفنيتُ حياتي لكني لست أكافيك
يا أمي إن عجز لساني عن شكرك ربي يجزيك
لو كان البر بأن تطأي خدي فيا حظي فيك
في حقك آياتٌ تتلى مر الأيام ((ووصينا))
لا يقدر أحداً إيفاءً لحقوقك مهما أينا
لكن فؤادك إحساناً كم يرضى عنا وعلينا
من غيرك يا أمي يقظٌ في الليل إذا هجم الكرب

من غيرك يا أمي قلق من دائي إن عجز الطب

لو صح سجودي يا أمي في حبك ما امتنع القلب

يا أمي

التوقيع :

ابنك الذي يرجو أن يقول ما قال سيدنا عيسى في سورة مريم :

﴿ وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً ﴾ [مريم:32]

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين، أستغفر الله.

خطبة الجمعة 26/12/2008 الخطبة الثامنة من سلسة ((أسرتي)) في مسجد دك الباب

الخطبة القادمة بعنوان ((يا أمي– بنت تخاطب أمها))